228493 ـ هل الدجال يتجول الآن ويتشكل بصور غيره ؟

السؤال

ذكر عمران حصين أنّ المسيح الدجال الذي يعيش في الجزيرة يمتلك القدرة على التحول والتحرك في الأرض كما يشاء ودخول مكة والمدينة في وقتنا الحالي وهو ما يتعارض مع الحديث ، فهل يمكنكم توضيح المسألة ، وهل فعلاً يستطيع الدجال التحول إلى أشكال أخرى ودخول مكة والمدينة في الوقت الحالي؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

ينبغي أن نعلم أن العلم الشرعي إنما يعتني بما فيه نفع للناس في دنياهم وآخرتهم ، أمّا ما لا نفع فيه فلا خير في الاهتمام به ، والتنقيب عنه .

قال ابن رجب رحمه الله تعالى :

" فالذي يتعين على المسلم الاعتناء به والاهتمام : أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ، ثم يجتهد في فهم ذلك ، والوقوف على معانيه ، ثم يشتغل بالتصديق بذلك ، إن كان من الأمور العلمية ، وإن كان من الأمور العملية ، بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الأوامر ، واجتناب ما ينهى عنه ، وتكون همته مصروفة بالكلية إلى ذلك ؛ لا إلى غيره . وهكذا كان حال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان ، في طلب العلم النافع من الكتاب، والسنة .

فأما إن كانت همة السامع مصروفة عند سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع ، وقد لا تقع ، فإنّ هذا مما يدخل في النهي ، ويثبط عن الجد في متابعة الأمر " .

انتهى من " جامع العلوم والحكم " (1/225) .

والنصوص الشرعية التي جاءت بذكر فتن آخر الزمان وأشراط الساعة ومنها خروج الدجال ، إنما وردت لما في ذكر ذلك من نفع وخير للمسلمين ، حتى يتأهبوا لهذه الفتن بتحصيل الطاعات قبل حلولها ، وكثرة التعوذ من شر هذه الفتن ، وتحصيل العلم الذي يساعد على النجاة منها .

قال القرطبي رحمه الله تعالى :

" قال العلماء رحمهم الله تعالى: والحكمة في تقديم الأشراط ، ودلالة الناس عليها : تنبيه الناس من رَقْدَتِهم ، وحثهم على

الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة ، كي لا يباغَتوا بالحول بينهم وبين تدارك الفوارط منهم ، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم ، وانفطموا عن الدنيا ، واستعدوا للساعة الموعود بها ، والله أعلم " .
انتهى من " التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة " (3/1217) .

فإذا خرج الناس عن حد الاعتدال في الكلام في هذه الفتن وأشراط الساعة ، وكثر البحث عن تفاصيلها وجزئياتها ، ولم يكتفوا بما ورد به الوحي يصبح هذا من العلم المذموم ، لأنه لا نفع فيه، بل يهدر الأوقات ويكثر بسببه الجدال والقيل والقال .

ثانيا :

حقيقة الدجال قبل خروجه هو من الأمور الغيبية التي يرجع لمعرفتها إلى نصوص الوحي ، ولا يجوز التقول فيها بغير علم .
قال الله تعالى : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)الإسراء/36 .
ولهذا على المسلم ألا يلقي سمعه لكل قائل ومُحَدِّثٍ بالعجائب ، بل عليه أن يتأكد هل ما يقوله هذا القائل من الأمور الغيبية ، مما ورد به النص الصحيح ، أو من محض آرائه وتفكيره ؟ فإذا كان من الأول قبله وإلا أعرض عنه ، لأن الغيب لا يدرك إلا بالوحي .

ثالثا :

وقع تنازع بين السلف في شأن الدجال من يكون ؟ وذلك بسبب قصة ابن الصياد [وهو أحد الكفار من يهود المدينة النبوية] :
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ : " رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ ابْنَ الصَّيادِ الدَّجَّالُ ، قُلْتُ : تَحْلِفُ بِاللَّهِ ؟ قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " رواه البخاري (7355) ، ومسلم (2929) .
وقد سبق في الموقع بسط قصته في الفتوى رقم : (8301) فراجعها للأهمية .

والظاهر من قصة ابن الصياد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقطع بكونه هو الدجال ، بل رأى فيه بعض أماراته فقط .
قال النووي رحمه الله تعالى :
" قال العلماء وقصته مشكِلة ، وأمره مشتبه ، في أنه : هل هو المسيح الدجال المشهور ، أم غيره ؟ ولاشك في أنه دجال من الدجاجلة .
قال العلماء : وظاهر الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولاغيره ، وإنما أوحي إليه بصفات الدجال ، وكان في ابن صياد قرائن محتملة ، فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره ، ولهذا قال لعمر رضي الله عنه : إن يكن هو ، فلن تستطيع قتله " .
انتهى من " شرح صحيح مسلم " (18/46) .
وقال ابن كثير رحمه الله تعالى :
" والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعا ؛ لحديث فاطمة بنت قيس الفهرية ، فإنه فيصل في

هذا المقام . والله أعلم ".

انتهى من " البداية والنهاية " (19/127).

وحديث فاطمة بنت قيس الفهرية رضي الله عنها هو الآتي :

عن فَاطِمَة بِنْت قَيْسٍ ، أُخْت الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ ـ وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ – ".... سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي ، مُنَادِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُنَادِي : الصَّلَاةَ جَامِعَةً ، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ . فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ ، جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ : (لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ)، ثُمَّ قَالَ : (أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ ؟) ، قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : (إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ ، كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا ، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ . وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ ، حَدَّثَنِي ؛ أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ ، فَقَالُوا : وَيْلَكِ مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الْجَسَّاسَةُ ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ ؟ قَالَتْ : أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ ، قَالَ : لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً ، قَالَ : فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا ، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا ، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا ، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ ، قُلْنَا : وَيْلَكَ مَا أَنْتَ ؟ قَالَ : قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي ، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ ؟ ... وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي ، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا ، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً ـ أَوْ وَاحِدًا ـ مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا ، يَصُدُّنِي عَنْهَا ، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا)، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ : (هَذِهِ طَيْبَةُ ، هَذِهِ طَيْبَةُ ، هَذِهِ طَيْبَةُ ـ يَعْنِي الْمَدِينَةَ ـ أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ ؟) ، فَقَالَ النَّاسُ : نَعَمْ ، (فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ) وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ ، قَالَتْ : فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " رواه مسلم (2942) .

فيظهر بوضوح من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر ما حكاه تميم رضي الله عنه وصدقه .

فالحاصل : أن الدجال هو على ماورد في هذا الحديث ، وأنه مربوط وموثق بالحديد ، وهو باق على هذه الحال حتى يؤذن له بالخروج ، وعلى هذا فهو لا يتحول ولا يتشكل بصور غيره .

والله أعلم .